ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Athraa Hassan Radi Obaid Al-Azzawi

University of Wasit College of Education for Human Sciences

Email: aradi@uowasit.edu.iq

Keywords:

Quraysh dialect, Eloquence, Rhetoric, Classical Arabic, Colloquial language.

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 25.Febr.2025

Accepted 17.Apr.2025

Published 25.May.2025

The Quraysh Dialect: An Analysis of Its Eloquence and the Qur'an's Exclusive Use of It

A B S T R A C T

There is a conflict between different tongues about the leadership of linguistic eloquence and winning it among the Arabic dialects, which led to raising the most important question for students of the Arabic language concerned with its dialects: Is the Quraish dialect the most eloquent dialect? Was the Holy Quran revealed in it, or does it have features that make it occupy the leadership in linguistic eloquence? To address this most common debate among students of Quranic linguistic sciences, we stand on the concept of eloquence, which represents the desired summit in correct speech. The early scholars divided languages into varying degrees , some were given eloquence, and some were given ugliness.

Among the dialects that have received great attention, both in ancient and modern times, is the Quraish dialect, due to the status and religious , social , economic , and political influence enjoyed by this tribe; and because it is the tribe of the Prophet of the Arab nation (may God bless him and his family and grant them peace) ; therefore, it has been the focus of attention of scholars.

Researchers in this field have taken two approaches: the first : Its owners believe that linguistic eloquence lies in the dialect of Quraysh . The second: its owners went to the view that eloquence is not specific to Quraysh just as the revelation of the Qur'an was not specific to its language. After discussing the evidence presented on this topic, I concluded in this research that the classical language is the language based on selection from the characteristics of dialects, so that it is not dominated by one dialect, but rather a unified language that every Arab understands in the vast majority.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol59.Iss2.4288

لهجة قريش (قراءة في فصاحتها واختصاص القرآن بها)

م.د. عذراء حسن راضي عبيد العزاوي
جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص:

هناك صراع بين الألسن المختلفة حول تصدر الفصاحة اللّغويّة والفوز بها بين اللّهجات العربيّة، أدّى إلى طرح السؤال الأهم لدى دارسي اللغة العربية المعنيين بلهجاتها، هل لهجة قريش هي أفصح اللهجات؟ وهل نزل القرآن الكريم بها، أم لها من المميزات ما يجعلها تحتل الصدارة في الفصاحة اللغوية؟ وللوقوف على هذه الجدلية الأكثر تداولاً بين دارسي علوم القرآن اللغويّة، نقف على مفهوم الفصاحة والذي يمثل القمة المبتغاة في صحة الكلام. إذ قسّم العلماء الأوائل اللغات على درجات متفاوتة، فبعضٌ أُعطيت الفصاحة، وبعضُ أُعطيت القباحة.

ومن بين اللّهجات التي حظيت باهتمام كبير قديماً وحديثاً، هي لهجة قريش؛ لما تتمتع به هذه القبيلة من مكانةٍ ونفوذ ديني، اجتماعي، اقتصادي، وسياسي؛ ولأنها قبيلة نبي أمة العرب(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؛ لذا كانت محط أنظار الدارسين.

وذهب الدارسون في هذا المجال إلى اتجاهين: الأول : يرى أصحابه أن الفصاحة اللّغويّة تكمن في لهجة قريش. والثاني: ذهب أصحابه إلى أن الفصاحة ليست مختصة بقريش مثلما لم تختص بنزول القرآن بلغتها، وبعد مناقشة الأدلة المعروضة حول هذا الموضوع توصلتُ في هذا البحث إلى أن اللغة الفصحى هي اللغة القائمة على انتخاب من خصائص اللهجات، فلا تستبد بها لهجة واحدة، بل لغة موحدة يفهمها كل عربي في الأغلب الأعمّ .

كلمات مفتاحية: لهجة قريش، الفصاحة ، البلاغة، اللسان العربي، اللسان القرشي، التفسير القرآني، اللغة الفصحى، اللغة الدارجة ، اللغة القريشية، إعجاز القرآن.

الكلمات المفتاحية: لهجة قريش ، الفصاحة ، البلاغة ، اللغة العربية الفصحى ، اللغة الدارجة .

إنّ الصراع القائم حول تصدّر الفصاحة اللّغويّة والفوز بها بين اللّهجات العربيّة، أدّى إلى طرح السؤال الأهم لدى دارسي اللغة العربية المعنيين بلهجاتها: هل لهجة قريش هي أفصح اللهجات؟ وهل نزل القرآن الكريم بها، أم لها من المميزات ما يجعلها تحتل الصدارة في الفصاحة اللغوية؟ وللوقوف على هذه الجدلية الأكثر تداولاً بين دارسي علوم القرآن اللغوية، نقف على مفهوم الفصاحة لغةً، والمأخوذ من فَصَحَ اللبن، أي ذهب اللَّبَأ عنه، وكثر محضه، وذهبت رغوته، ورجلٌ فصيحٌ فَصُحَ فصاحةً، وأفصح الرجلُ القولَ: لمّا كَثُرَ وعُرِفَ (الفراهيدي ١٩٨٨: ١٢١/٣)

اصطلاحاً: الفصاحة في المفرد: خلوصه من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس. وفي الكلام: خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات. وفي المتكلم: مِلكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح (الجرجاني ١٩٨٥: ٢١٤). وبهذا يكون مفهوم الفصاحة هو ما يُراد به القمة المبتغاة في صحة الكلام.

قسم العلماء الأوائل اللغات على درجات متفاوتة، فبعضٌ أُعطيت الفصاحة، وبعضُ أُعطيت القباحة.

ومن بين اللّهجات التي حظيت باهتمام كبير قديماً وحديثاً، هي لهجة قريش؛ لما تتمتع به هذه القبيلة من مكانةٍ ونفوذ ديني، اجتماعي، اقتصادي، وسياسي؛ ولأنها قبيلة نبي أمة العرب(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؛ لذا كانت محط أنظار الدارسين.

وذهب الدارسون في هذا المجال إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى أصحابه أن الفصاحة اللغويّة تكمن في لهجة قريش، فهم لم يترددوا في إعطاء السيادة لها بالفصاحة. من هؤلاء العلماء القدماء الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، إذ نقل السيوطي (ت ٩١١ هـ) قوله:

"كانت العرب تحضر الموسم في كل عام، وتحجّ البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ" (لسيوطي ١٩٩٣: ٢٢١).

وتابعه بذلك الفارابي (ت ٢٦٠ هـ) ناقلًا عنه السيوطي قوله: "كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً إبانة عمّا في النفس" (الفارابي ٢٠٠٤: ٣٣).

أيضاً نقل عن ثعلب (ت ٢٩١ هـ) قوله: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء وكشكشة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبّة" (السيوطي ١٩٩٣: ٢١١).

وتابعهم بذلك ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) (الصاحبي في فقه اللغة: ٣٣)، وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) (ابن خلدون ٢٠٠١: ٥٥٥).

ويذكر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أنّ معاوية بن أبي سفيان يوماً قال: "من أفصح الناس؟" فقال قائل: "قومٌ ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وغمغمة قُضاعة، وطمطمانية حِمْيَر". قال: "ومن هم؟" قائلًا: "قريش". قال: "ممن أنت؟" قال: "من جَرْم" (الجاحظ ١٩٦٨: ٢١٢/٣).

وعبّر ابن خالويه (٣٧٠) هـ عن إعظامه لها بقولٍ نقله السيوطي:((إنّما النحويّ الذي يُنقّر عن كلام العرب، ويحتجّ عنها، ويبين ما أودع الله تعالى هذه اللغة الشّريفة هذا القبيل من الناس، وهم قريش)) (السيوطي ١٩٨٦: ٢١٣/١).

وقد استند هؤلاء على أدلة نقلية لإثبات الفصاحة القرشية، منها قول الرسول الأكرم "عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام": ((أنا افصحُ العرب بيد أنّي من قريش)) (الألوسي ١٩٩٥: ١١٩/١١).

وقد أخرج البخاري ت (٢٥٦) هـ في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب نزول القرآن بلسان قريش والعرب، من حديث أنس بن مالك، قال: ((أمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم، وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فأكتبوها بلسان قريش، فأن القرآن أُنزل بلسانهم ففعلوا))(البخاري ١٩٨٧: ٩٧/٦).

ومن الباحثين المحدثين الذين ساروا في هذا الاتجاه الدكتور طه حسين، قائلًا: ((لُغة قريش إذن هي هذه اللغة العربية الفصحى، فُرِضتْ على قبائل الحجاز فرضاً لا يعتمد على السيف، وإنما يعتمد على المنفعة وتبادل الحاجات الدينية والسياسية والاقتصادية، وكانت هذه الأسواق التي يشار إليها في كتب الأدب، كما كان الحج وسيلة من وسائل السيادة للغة قريش)) (طه حسين ١٩٣٣: ١٠٧).

وتابعه الدكتور رمضان عبد التواب الذي يرى أنّ العربية المشتركة هي فوق مستوى العامة، ولا تنتمي صفاتها الى بيئة محددة، لكنّه يؤكد أنّ لهجة قريش أسهمت في تكوين الفصحى بعناصر كثيرة، فلا مبالغة إذن في اطلاق لفظة لغة قريش

على اللّغة الفصحى. (عبد التواب ١٩٩٩: ٦٩) وإلى ذلك ذهب مصطفى صادق الرافعي (الرافعي د.ت: ٨٢–٨٣) ، ويرى الدكتور علي عبد الواحد وافي أنّ لهجة قريش كانت أوسع اللهجات ثروة، وأغزرها مادة، وأرقاها أسلوباً، وأدناها إلى الكمال، وأقدرها على التعبير في مختلف فنون القول، وقد تمّ لها ذلك بفضل ما أُتيح لأهلها من وسائل الثقافة والنهوض، وما أُتيح لها من فرص كثيرة للاحتكاك بمختلف اللّهجات العربيّة، وما انتقل إليها من هذه اللّهجات من عناصر زادتها ثروة، وسدّت ما كان يعوزها في بعض مناحي التعبير، فقد ترتب على تغلبها على بقية اللّهجات أنْ أصبحت لغة الآداب عند جميع قبائل العرب، فبها كان يُنَظم الشعر وتُلقى الخطب، وترسل الحكم والأمثال، وتدون الرسائل، وتتفاوض الوفود، ويتبارى الأدباء، وتجري المناقشة في النوادي والمؤتمرات في مختلف بلاد العرب في ومختلف قبائلهم، وقد تمّ لها ذلك قبل بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بزمن غير قصير، فلا غرابة إذن في أن القرآن جاء بلغة قريش فقد كان مفهوماً لدى جميع القبائل (وافي ٢٠٠٤: ٨٨–٨٩)

وأيدهم الدكتور حسن عون قائلًا: ((نهضت قريش في أرض الحجاز، وبدأت تسود غيرها من القبائل، وتتزعمها في الدين والسياسة والاقتصاد، وأخذت لهجتها تسود اللّهجات الأخرى وتتغلب عليها، وقد أستمرت هذه اللّهجة في طريقها من الرقي بواسطة عدّة عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية حتى كادت تُهمل في جانبها لهجات القبائل الأخرى، وهي التي أورثتنا هذه الآثار الدينية والأدبية والعلمية، وهي أيضاً لغة القرآن والحديث والأدب العربي)) (عون ١٩٩٥: ١١٢)

وكذلك الدكتور شوقي ضيف بقوله: ((نحن لا نعدو الواقع إذا قلنا إنّ لهجة قريش هي الفصحى التي عمّت وسادت في الجاهلية لا في الحجاز ونجد فحسب، بل في كلِّ القبائل العربيّة)) (ضيف ١٩٨٨: ٧٥)

ومن هنا يتضح أنّ أصحاب هذا المذهب لا يشكّون بأمر فصاحة قريش، وإنْ كان الأمر مُشَّكاً في مسألة الهمز، هذا ما أوضحه الدكتور صبحي الصالح الذي أخرج قضية الهمز التي كَثُرَ الجدال فيها على أنّها من باب التأثر والتأثير، فكما تأثروا بلهجة قريش أثروا فيها، فهو يرى أنّها الفصاحة المقصودة عند الإطلاق، فشعور القريشين بأن تحقيق الهمزة في الأساليب الأدبية من شعر وخطابة، أقرب الى الفصاحة من تسهيلها، ومجيء القرآن بنبر الهمزة دليلاً على أن اللغة المثالية كانت قبل الإسلام قد استحسنت في هذا لحن تميم فاقتبسته واتخذته صفة من صفات نطقها الصحيح(الصالح ١٩٧٨: ١٤٣)

ويرى الدكتور مختار الغوث في موضعٍ من كتابه، أنّه عدم وجود لُغة مثالية، مؤلفة من عّدة لهجات، مصرحاً بتأييده بنزول القرآن بها(الغوث ٢٠٠١: ٨٩)

وأعتمد الدكتور غانم قدوري الحمد دليلاً على اثبات الفصاحة القرشية، وإعطاء السيادة لها، وأنّها من نزل القرآن بها، فهو يرى أن الباحثين أغفلوا عن وثيقة أصلية وهي رسم المصحف، وطريقة كتابة الكلمات في المصاحف القديمة، التي كتبها الصحابة، والتي حُفظت في المصاحف القديمة، والتي بقي الكثير منها إلى زماننا، وألّف كتاباً في ذلك وأسماه (رسم المصحف دراسة لغوية تأريخية) وبحث في قضية الهمز وكيفية كتابتها سابقاً باعتماده على النّصوص التأريخية واللغويّة والقرآنيّة، ووجد أنّ للعرب قديماً مذهبين في كتابتها:

الأول: كتابتها على الألف في كافة مواضعها وحركاتها.

الثاني: رسمها على الألف في أول الكلمة فقط، ثم ترسم في المواضع الأخرى بالحرف الذي تؤول إليه، وبهذا يكون النظر في الرسم القديم للمصحف هو الفيصل في إعطاء الكلمة الأخيرة.

فالكتابة كانت خالية من العلامات، فلا نقط ولا حركات ولا همزة ولا قطع ولا وصل، فيكون التحليل بأنّ كتابتها على التسهيل؛ لأنها لغة الحجاز وهي الفصحى؛ لذلك كتبوها على لغتهم أو لأنّه خط المصحف، فكان البناء عليه أولى،

وبتحقق هذه الطريقة في الكتابة يحصل التأكيد بنزول القرآن وكتابته بلغة قريش، ومن ثُمّ يرى بأنّ جميع اللّهجات متفرعة من أصل واحد، وأن تسهيل الهمز هو ما جاء في القرآن، وتلاه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) على أصحابه، ولكن تحقيق بعض العرب لها على أساس الرخصة التي تضمنها قوله(صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فأقرأوا ما تيسر منه))) الشوكاني ١٩٩٣: ٦٠/٤؛ ابن العربي ٢٠٠٣: ١٢٠/٤؛ الزركشي : ٢١١/١؛ الزرقاني ١٩٩٥: ١٠٠/١(أمّا مشكلة الشعر الجاهلي الذي يقف عقبة بوجه الفكرة القائلة بنزول القرآن بلهجة قريش فهو يرى بأنّ الشاعر يُنظم بلغة قومه ويتعرض للتغيير من قبل الرواة (القدسي ١٩٨٥: ٧٣–٨٨).

وأيده الدكتور إبراهيم السامرائي ملاحظاً العناية والصنعة التي أصابت الشعر الجاهلي حتى صارت لغته انموذجاً لغوياً واحداً (السامرائي ١٩٨١: ٥–٦)

وبعد عرض أدلة أصحاب هذا الاتجاه أمكن لنا أنْ نناقشها.

الدليل الأول: اعتمادهم على القول الشريف: (أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش) الذي عدّه بعض اللغويين شهادة على فصاحة قريش.

إنّ هذا الحديث لا يخلو من الإرباك البنائي والإفهامي، فتكملة الحديث (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ورضعت في بني سعد بن بكر) (ابن حجر، ١٩٨٦) وقد عُدَّ حديثاً غريباً أورده أصحاب الغرائب(ابن الملقن، ٢٠٠١، ٢٥١/٢؛ المناوي، ١٩٩٦، ١١٧/١؛ الصغاني، ١٩٩٢، ٦٠/١؛ العجلوني، ١٩٨٨، ٢٣٢/١) وقال عنه ابن السبكي ت (٧٧١)هـ : ((حديث: (أنا أفصح العرب) لم أجد له إسناداً))(الأزهري، ٢٠٠١، ١٤٥/٤؛ الزبيدي، ١٩٩٤، ٤٥٤/٧؛ مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤، ٧٨/١) فأنْ صحَّ الحديث فالإشكال يتأتى من كلمة (بيد) وهي اسم ملازم للإضافة إلى أنّ ومعموليها، وهي تحمل معاني كثيرة منها:(غير) فيقال: فلانٌ كثيرُ المال بيد أنّه بخيلٌ، أو بمعنى(على) ويراد بها المصاحبة، أو بمعنى(رغم أن)،أو (من أجل) (الأزهري ٢٠٠١: ١٤٥/٤؛ الزبيدي : ٤٥٤/٧؛ المعجم الوسيط ٢٠٠٤: ٧٨/١)

وليس في هذا المعنى أيّة دلالة على تخصيص قريش بالفصاحة ولا على أنّ لسانها أفصح الألسنة، ولكن بعض العلماء من أجل الاحتجاج به لفصاحة قريش فسّروا (بيد) بـ (لأنّ) والحديث ينصُّ على تحديد الفصاحة بالرسول (عليه الصلاة والسلام وآله)، فزبدة الفصاحة مُلّقاة على لسانه، كما يؤيدها رواية عمر بن الخطاب أنّه قال للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما بالك أفصحنا؟ ولم تخرج من أظهرنا)، قال: " لأن كلام إسماعيل عليه السلام كان درس فأتى جبريل به عليه السلام فعلمنيه". وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته يقول: "مات حتْفَ أنفه" وما سمعتها من عربي قبله. ومعنى هذا أن الميت على فراشه يتنفس حتى ينقضي رمقه (ابن الجوزي ٢٠٠٠: ٧٨/١–٧٩؛ المقريزي١٩٩٩: ٢٦١/٢؛ سبط ابن الجوزي ٢٠١٣: ٣٦٤/٤؛ السُّرَمَرِي ٢٠١٥: ٥١٧)

الدليل الثاني: ما رواه البخاري من قول عثمان بأن القرآن نزل بلسان قريش وأمرهم بكتابته بلغة قريش، يرد عليه الباقلاني ت (٤٠٣) هـ بمعنى قول عثمان: نزل القرآن بلسان قريش، أي: معظمُه، وأنه لم تقم دلالة قاطعة على أن جميعه بلسان قريش، فإن ظاهر قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.(الزخرف،٣) أنّه نزل بجميع ألسنة العرب، ومن زعم أنّه أراد مضر دون ربيعة، أو هما دون اليمن، أو قريشاً دون غيره فعليه البيان، لأن اسم العرب يتناول الجميع تناولاً واحداً . (العسقلاني، د.ت، ٩/٩) وهذا يؤيده التنوع اللّهجيّ الوارد في القرآن الكريم فضلاً عن وجود الكثير من الألفاظ المعرّبة والدخيلة والأعجميّة .

وقيل في معناه أنّه أنزل على سبعة أحرف من أحكام (زاجر، وآمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال) أو قراءات.(السيوطي ٢٠٠٦: ٣٠٠/٢؛ الزركشي ١٩٨٨: ٢١٦/١) وهذه القراءات خير دليل على ورود اللّهجات بتنوعها القبلي، وحتى معاني المفردات فبعض الألفاظ بمعانيها المتعددة، ماهي إلّا خير دليل على وجود ألسنة القبائل العربية المختلفة في القرآن الكريم .

الدليل الثالث: قضية الهمز وإدراك العرب بأن الفصاحة تكمن في تحقيق الهمزة، لا يوجد دليل على هذه المسألة، فالغرض منها لوي الدليل وسوقه الى جانبهم. فقد ورد عن فصيح الأمة (صلى الله عليه وآله وسلّم) عدم الهمز إذ رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ" صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ" يَا نَبِيءَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ" صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: لَا تَنْبُرْ بِاسْمِي فَإِنَّمَا أَنَا نَبِيٌّ. وقد يُعلل ذلك بأنَّهُ يُقَالُ: نَبَأْتُ عَلَى الْقَوْمِ إِذَا طَلَعْتَ عَلَيْهِمْ، وَنَبَأْتُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ كَذَا، إِذَا خَرَجْتَ إِلَى هَذِهِ. وَهَذَا الْمَعْنَى أَرَادَ الْأَعْرَابِيُّ بِقَوْلِهِ: يَا نَبِيءَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الْهَمْزَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ لُغَةِ قُرَيْشٍ (السفاريني ١٩٨٢: ٢٦٥) وقيل إنّ معنى (لا تنبر باسمي)، أي: لا تهمز. وفي رواية(إنّا معشر قريش لا ننبر) وكذلك الاستدلال بالحدث التأريخي (لَمَّا حَجَّ المهدي قَدَّم الكسائي يُصلي بالمدينة فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه، وقالوا: أتنبر في مسجد رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بالقرآن؟ (الراجحي ١٩٩٦: ٦٦٨؛ القادوسي ٢٠١٠: ١١٩؛ بشر ٢٠٠٣: ٣١؛ الأزهري ٢٠٠١: ٢٦٩؛ البجاوي ١٩٧٩: ٤٠١؛ الزبيدي ١٤١٤ هـ: ١٦٤)

الدليل الرابع: أنّه الشعر الجاهلي يمثل القمّة القرشية الفصيحة، وهذا بتغيير من الرواة، يمكن أن يُرد عليه أنه ليس جميع الرواة يتوددون لقريش، فيغيرون ما يلائم هذه القبيلة، فقد تنطبق الصنعة على قصائد الحوليات، ولكن ما وصلنا من نتاج شعري ليس جميعه حوليات.

الدليل الخامس: رسم المصحف بصورته القديمة، وهذا ما نادى به الدكتور غانم الحمد، فالرد عليه أنّه من الممكن أن يكون أغلب كُتّاب القرآن من قريش، أو رُوجَ لكتابته بهذا اللسان كما روج عمر للغة قريش عندما أمر الصحابة بكتابته بلسانها، ولكن في إثبات ذلك عرقلة كبيرة ، فمن الصعب الوصول إلى النسخ الأولى للكتاب المقدس بالخط الأصيل.

الاتجاه الثاني: ذهب أصحابه إلى أن الفصاحة ليست مختصة بقريش مثلما لم تختص بنزول القرآن بلغتها، وفي مقدمة هؤلاء المبرد ت (٢٨٥)هـ إذ قال : ((وكل عربيّ لم تتغير لُغته، فصيح على مذهب قومه، إنما يقال بنو فلان أفصح من بني فلان، أي: أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش على أن القرآن نزل بكلِّ لغات العرب)) (اليمني ١٩٩٥: ١١٣).

وتابعه ابن جني ت(٣٩٢)هـ ملمحاً إلى ذلك ومصرحاً بمقياس الفصاحة الذي ينبغي أن يقوم على صحة السليقة والبعد عن الأعاجم وعدم التأثر بهم، إذ قال: ((ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر، وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة، وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنها))) النجار ١٩٨٣: ٥)

ويرى الباقلاني ت(٤٠٢)هـ أن القرآن نزل بلغة العرب جميعها لقوله تعالى: } إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا{ (الزخرف،٣) ولو ساغ أن يقال نزل بلسان قريش؛ لأنهم قوم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لساغ أن يقال نزل بلسان بني هاشم؛ لقربهم له من غيرهم، ولعلم الله ما سيلاقي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أذى من قومه(الباقلاني ١٩٩٤: ٣٨٥)

ومن المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس لم يؤيد سيادة قريش اللغوية، فهو يرى أنها لغة مشتركة بين العرب جميعاً معتزين بها ومتخذيها أداة للتعبير، ولهذا نزل القرآن بها، فلم تكن لغة قريش وحدها أو لغة مكة وحدها، بل كانت اللغة المشتركة للعرب جميعاً ولكن نزول القرآن زادها ازدهاراً وتثبيتاً لأركانها (أنيس١٩٧٠: ٢٧٥-٢٧٦)

ويستشكل الدكتور جواد علي عليهم قائلًا: ((ولو كان القرآن قد نزل بلغة قريش وحدها، فلِمَ كان الصحابة من قريش مثل (أبو بكر) و (عمر) وغيرهما، يتحيرون في تفسير ألفاظ وردت فيه، أو يلجؤون إلى الشعر و يستعينون به في تفسير القرآن، والشعر هو شعر العرب، لا شعر قريش وحدها، فكان ابن عباس إذا سُئل عن عربية القرآن أنشد الشعر، وقال: إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله، فلم تعرفوه، فأطلبوا في أشعار العرب، فأنّ الشعر ديوان العرب)) (علي ١٩٩١: ١٩٩١)

ورأى الدكتور محمود حجازي أنّ عدّ الفصحى امتداداً مباشراً لإحدى اللهجات أمراً صعبًا، وليس من الممكن تصور لغة القرآن تعكس لهجة معينة (حجازي، ٢٠٠٣، ٢٣٧) وأيدّه الدكتور عبده الراجحي بأن هذه اللغة المشتركة لا يُمكن أن تُنسب إلى لهجة بعينها (راجحي ١٩٩٦: ٤٨-٤٩)

ويعتمد الدكتور داود عبده دليلاً نقلياً لإبطال فصاحة لهجة معينة، إذ يقول: ((إنّ استقراء النصوص في الفصحى، يشير الى وجود مثل هذه القواعد المتناقضة وكثير غيرها ممَّا لا يدع مجالًا للشك في أنّ العربية الفصحى ليست لهجة واحدة، بل مزيجاً من اللهجات)) (عبده ١٩٧٣: ٨٠)

ومن المستشرقين من أبدى رأيه في هذه المسألة، إذ يقول بروكلمان: ((لاشك في أن لغة الشعر القديم هذه لا يمكن أن يكون الرواة والأدباء اخترعوها على أساس كثرة اللهجات الدارجة، ولكن هذه اللغة لم تكد تكون لغة جارية في الاستعمال العام، بل كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات، وإن غذتها جميع اللهجات)) (بروكلمان ١٩٥٦: ٤٢)

وكذلك نولدكه قال: ((وتسمية اللغة العربية باللهجة القرشية، تلك التسمية التي غالباً ما يستعملها الأوربيون تسمية خاطئة جدا، ولا توجد أبدًا لدى أي مؤلف عربي، وقد يُتكلّم عن لهجة قريش في أحوال نادرة للتعبير عن الفروق اللغوية الخاصة لمكة... وقد اعتمد على هذه التسمية التي خانها الحظ، الرأي الذي تكرر القول به في العصر الحديث بأن اللغة العربية الكلاسيكية هي لهجة قريش، التي لم يتح لها تلك المكانة إلّا بسبب نزول القرآن بها ... أمّا الروايات التي تقول بأن لهجة قريش هي أحسن اللهجات العربية كلها فإن بعضها مخترع، وفي بعضها مجاملة للحكام الذين ينحدرون من قبيلة قريش)) (نولدكه ١٩٩٥:٨٧)

وفي الختام نتوصل في هذا البحث إلى أن اللغة الفصحى هي اللغة القائمة على انتخاب من خصائص اللهجات، فلا تستبد بها لهجة واحدة، بل لغة موحدة يفهمها كل عربي في الأغلب الأعمّ .

أمّا قضية اختصاص القرآن بلهجة قريش فهي أمرٌ غير ثابت في البحث العلمي، وبحاجة الى تدقيق وتعمق، والأدلة المطروحة بيّنت ذلك، وما يؤيدها وجود الألفاظ اللّهجيّة الكثيرة الواردة في الكتاب الكريم، وكذا نزوله على سبعة أحرف باختلاف الآراء المفسرة لذلك. وإن قيل بأنّ هذه الألفاظ معروفة عند قريش متداولة على ألسنتهم بفعل الاختلاط في المجالات المختلفة، فأصبحت جزءاً من لهجتهم، لكن ما ينفي ذلك اختلافهم في فهم وتفسير بعض الكلمات كل حسب لهجته.

أمّا ما أراه أنه يجب الاستناد الى قوله تعالى:}إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ{ الذي طبع القرآن بطابع العربية، وقضى على آثار اللهجات من باب التساوي ورفع التمايز، وبكونه هوية كل عربي، ولكي لا ترجع الطبقية بينهم، ولا تعود جاهلية بعد الإسلام، والعمل على توحيد العرب في كلِّ شيء؛ لأنّ في توحيدهم قوة في مواجهة العالم الخارجي .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- الأزهري، محمد بن أحمد (٢٠٠١). تهذيب اللغة. دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٥/٤.
- الألوسي، محمود شكري (١٩٩٥). بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت. ١١٩/١١.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٨٧). صحيح البخاري. تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت. ٩٧/٦.
- الجرجاني، عبد القاهر (١٩٨٥). دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة. ٢١٤.
- الجاحظ، عمرو بن بحر (١٩٦٨). البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت. ١ ٢١٢/٣.
- الحمد، غانم قدوري (٢٠٠٥). رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية. دار عمار، عمّان.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٩٨٨). العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت. ١٢١.
- الرافعي، مصطفى صادق (د.ت). تاريخ آداب العرب. دار الكتاب العربي، بيروت. ٨٢–٨٣.
- السامرائي، إبراهيم (١٩٨١). في نحو اللغة وتطوره. دار النشر العربية، بغداد. ٥–٦.
- السري الرفاء (١٩٩٩). ديوان السري الرفاء. تحقيق محمد الحلواني، دار الكتب العلمية، بيروت. ٤٥.
- السيوطي، جلال الدين (١٩٩٣). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. دار الكتب العلمية، بيروت. ٢١١، ٢٢١.
- الشوكاني، محمد بن علي (١٩٩٣). فتح القدير. دار ابن كثير، بيروت. ٦٠/٤.
- الصالح، صبحي (١٩٧٨). دراسات في فقه اللغة. دار العلم للملايين، بيروت. ١٤٣.
- الصغاني، إسماعيل (١٩٩٢). الدر الملتقط في غرائب الصحاح والسنن والمسانيد. دار الكتب العلمية، بيروت. ٦٠/١.
- الضيف، شوقي (١٩٨٨). تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي. دار المعارف، القاهرة. ٧٥.
- القدسي، محمد (١٩٨٥). الشعر الجاهلي بين الرواية والتحقيق. دار الفكر، بيروت. ٧٣–٨٨.
- المقريزي، تقي الدين (١٩٩٩). إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع. دار الكتب العلمية، بيروت. ٢٦١/٢.
- الملقن، عمر بن علي (٢٠٠١). البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير. دار الهجرة، الرياض. ٢٥١/٢.
- المناوي، عبد الرؤوف (١٩٩٦). فيض القدير شرح الجامع الصغير. دار الكتب العلمية، بيروت. ١١٧/١.
- ابن العربي، أبو بكر (٢٠٠٣). أحكام القرآن. دار الكتب العلمية، بيروت. ١٢٠/٤.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن (٢٠٠٠). تلبيس إبليس. دار الفكر، بيروت. ٧٨/١–٧٩.
- ابن السبكي، تاج الدين (١٩٧١). طبقات الشافعية الكبرى. دار الفكر، بيروت. ١٤٥/٤.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد (١٩٨٦). ليس في كلام العرب. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الغرب الإسلامي، بيروت. ٢١٣.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (٢٠٠١). المقدمة. دار الفكر، بيروت. ٥٥٥.
- ابن فارس، أحمد (١٩٩٣). الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تحقيق مصطفى الشويمي، دار الفكر، بيروت. ٣٣.
- ابن كثير، إسماعيل (٢٠٠٤). تفسير القرآن العظيم. دار طيبة، الرياض. ١٥١/٢.
- ابن الملقن، عمر بن علي (٢٠٠١). البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير. دار الهجرة، الرياض. ٢٥١/٢.
- ابن حجر العسقلاني (د.ت). فتح الباري شرح صحيح البخاري. دار المعرفة، بيروت. ٩/٩.
- ابن النديم (١٩٧١). الفهرست. دار المعرفة، بيروت. ٧٧.
- ابن هشام، عبد الملك (١٩٩٠). السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت. ٢٣٣/١.
- ابن يعيش، موفق الدين (١٩٩٢). شرح المفصل. دار الفكر، بيروت. ٤٥/٣.
- ابن يعقوب، يوسف (١٩٨٨). اللغة والتفسير. دار الفكر، بيروت. ٧٨/٢.
- طه حسين (١٩٣٣). في الأدب الجاهلي. دار المعارف، القاهرة. ١٠٧.
- عون، حسن (١٩٩٥). اللغة العربية بين الفصحى والعامية. دار النهضة العربية، بيروت. ١١٢.
- مجمع اللغة العربية (٢٠٠٤). المعجم الوسيط. دار المعارف، القاهرة. ٧٨/١.
- وافي، علي عبد الواحد (٢٠٠٤). فقه اللغة. دار النهضة العربية، بيروت. ٨٨–٨٩.
- الزركشي، بدر الدين (١٩٨٨). البرهان في علوم القرآن. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. ٢١١/١، ٢١٦.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم (١٩٩٥). مناهل العرفان في علوم القرآن. دار الفكر العربي، القاهرة. ١٠٠/١.